Journal of Alasmarya University
Volume 19, December 2013

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد التاسع عشر، ديسمبر 2013

المصالحة الوطنية

بين رواسب الماضي وتحديات المستقبل

أ. أبوبكر ميلاد بعيج*

المقدمة

بسم الله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد،

إن وقوع الاختلاف والشحناء بين الناس أمر معلوم، وواقع يعيشه الكثير من أفراد المجتمع، ويترتب على هذا عواقب سيئة كالهجران والبغضاء، لكن من رحمة الله بعباده أن شرع لهم ما يزيل هذه المعضلة، وهو الإصلاح بين المتخاصمين سواء كان هذا الاختلاف مع أنفسهم أو مع أهلهم أو أي فرد من أفراد المجتمع. وقد وردت في الشريعة الإسلامية الكثير من الدلائل القطعية، سواء كان ذلك آيات قرآنية أو أحاديث نبوية، تؤكد على أهمية المصالحة باعتبارها ضرورة لاستقرار المجتمعات، كما توجد الكثير من الأحداث التاريخية التي تدعم هذا الاتجاه، وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع في عرض صور للمصالحة، وتوضيح المشاكل التي ذكرتها بعض المصادر، وكيف تمت معالجتها بصورة صحيحة أدت إلى تجنب الكثير من المشاكل.

والمصالحة في المجتمعات قديماً وحديثاً تأتي بعد حدوث ظلم يؤدي إلى

* الجامعة الأسمرية.

خراب العمران[1]، كأن يتعدى الحاكم على حقوق رعيته أو عند تعدي قبيلة على مصالح قبيلة أخرى، فيؤدي ذلك إلى حدوث اضطرابات وحروب تكون عاقبتها وخيمة على الطرفين، ولتوضيح هذه الفكرة تم تقسيم البحث إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا، وبيان أنواعه.

المبحث الثاني: الإصلاح في القران الكريم.

المبحث الثالث: الإصلاح في السنة النبوية.

المبحث الرابع: شواهد تاريخية للإصلاح.

أ. الإصلاح في العصر الجاهلي (الصلح بين عبس وذبيان أنموذجا)

ب. الإصلاح في عهد الرسول ﷺ.

ج. موقف الخليفة أبوبكر ﷺ من المرتدين.

د. الإصلاح بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما.

المبحث الأول: الصلح لغة واصطلاحا، وبيان أنواعه

الصلح في اللغة: مصدر صالح يصالح صلحاً، ويشتق منه أيضا أصلح يصلح إصلاحا، والصَلاح بفتح الصاد ضد الفساد، وبكسرها المصالحة، والاسم الصلح يذكر ويؤنث، يقال اصطلاحا، و صالحا، واصّلحا مشدد الصاد بمعنى واحد وهو قطع النزاع[2].

أما اصطلاحا: فهي الوسيلة التي يتم بها الإصلاح بين المتخاصمين، أو أنها لدرء مفسدة أو إقامة منفعة[3]، واتفق العلماء على أن الصلح نوعان:

1- ابن خلدون، أبوزيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ص185.

2- الجوهري، أبي النصر إسماعيل بن حماد، مختار الصحاح، تحقيق: ايميل بديع، محمد طريف، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص382؛ ابن منظور، جمال الدين أبوالفضل محمد بن جلال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج2، ص516.

3- ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد، المغني، مكتبة الجمهورية، مصر القاهرة، ج4، ص527؛ سور الرحمن هدايات، التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة، =

- صلح جائز بين المسلمين: وهو الذي يسعى فيه إلى إرضاء الخصوم بما يتفق مع شرع الله وسنة نبيه ﷺ لما في ذلك من صلاح للأمة، وتسيير لمصالح الناس[4].
- صلح غير جائز: وهو الصلح الذي يسقط حداً من حدود الله؛ كصلح يُحلّ حراماً، أو يحرم حلالاً، فهذا الأمر مفسدة، كأن يتفق رجل مع رجل زنا بزوجته أن يدفع له مالاً مقابل إسقاط الحد[5].

المبحث الثاني: الصلح في القرآن الكريم

وردت العديد من الآيات القرآنية التي تؤكد وجوب الإصلاح وعظم فضله لما له من دور في استقرار المجتمعات، وازدهارها ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114].

الإصلاح بين الناس هو الإصلاح بين المتخاصمين، حتى يعودوا إلى الألفة واجتماع الكلمة[6]، فإن ذلك يرضي الله، وقد خُصَّ الإصلاح بالذكر لعظم الأمر في تسيير مصالح العباد[7]، وجعل الله في هذه الآية الإصلاح بين الناس و الأمر بالصدقة خيرا لولم يبتغ الفاعل وجه الله، ويدل هذا على عموم النفع والفضل[8].

=

دار السلام، القاهرة، مصر، 2001، ص197.

4- الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الأحكام السلطانية، تحقيق، أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، مصر، ص122.

5- البخاري، مخمد بن اسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإمام، المنصورة، مصر، 2003، ص561.

6- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، ج7، ص481- 482.

7- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تحقيق، عبد السلام عبد الشافي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ص23.

8- علي بن غازي التويجري، الإيضاح لما ورد في الكتاب والسنة بشأن الإصلاح، مكتبة دار

=

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1].

والإصلاح في هذه الآية الكريمة يحث نبذ على كل ما بين الناس من قطيعة، وشحناء وإبدالهما بالود والتحبب والتواصل حتى تجتمع كلمتهم، ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق والعفو عن المسيئين وهذا الأمر من شأنه أن يصفي القلوب[9].

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 9-10].

أي إنه إذا ما اقتتل طرفان من أهل الإسلام فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعوة إلى الاحتكام لكتاب الله، فإن بغت؛ أي رفض أحد الطرفين الانصياع إلى ذلك فوجب قتاله حتى يعود إلى حكم الله، فان فعلت فأصلحوا بينهما بالعدل[10]، و يزيد على ذلك الفقيه الشافعي الماوردي بقوله: « إن المقصود بقتال أهل البغي ردعهم لا قتلهم، وأن يقتلوا مقبلين، ويتركوا مدبرين، وأن لا يقتل جريحهم ولا أسيرهم، وأن لا تعد أموالهم غنائم، ولا أطفالهم ونساؤهم سبياً، وأن لا تحرق منازلهم، وأن لا تحرق أشجارهم »[11].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 182]، ومعنى الإصلاح هنا هو العدل في الوصية بما يتفق مع الشرع، وفي هذا تقريب بين الورثة حتى لا تتصدع البنية الأسرية[12].

=

النصيحة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 2001، ص15.

9- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص325.

10- الطبري، تفسير الطبري، ج21، ص357-364.

11- الماوردي، الأحكام السلطانية، ص124.

12- السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص74.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 224]، وفي هذه الآية توضيح بأن المسلم إذا حلف فكان ذلك مانعا للخير أو أصلح بين الناس فليحنث في يمينه ويكفر عنها[13].

المبحث الثالث: الإصلاح في السنة النبوية

ذكرت كتب السنة العديد من الأحاديث النبوية التي وضحت فضل الإصلاح بين الناس وحثت المسلمين على فعله، وبينت الثواب العظيم الذي يناله من ذلك، ومن بين هذه الأحاديث:

1. عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال: قال الرسول ﷺ «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام، والصدقة، قالوا: بلى، قال إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»[14] وفي الحديث حثٌّ وترغيب في الإصلاح؛ لأنه يقرب الناس من ربهم، ويبعد التفرقة بين المسلمين، فهذا عند الله ورسوله ﷺ أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة[15].
2. عن أبي هريرة ﷺ، عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما عمل ابن ادم شيئا أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وخلق حسن»[16] ويوضح هذا الحديث أهمية إصلاح ذات البين فجعله بمثابة الصلاة والخلق الحسن[17].
3. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال الرسول ﷺ: «أفضل الصدقة إصلاح ذات البين»[18].

13- الطبري، تفسير الطبري، ج4، ص12.

14- الترمذي، أبي عيسى محمد بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق، أحمد شاكر، مكتبة مصطفى الأبابي الحلبي، القاهرة، مصر، ج4، ص663.

15- علي بن غازي، الإيضاح، ص34.

16- البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين، الجامع لشعب الإيمان، الدار السلفية بالهند، ج20، ص 220.

17- علي بن غازي، الإيضاح، ص34.

18- نور الدين الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البزاز، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، مؤسسة الرسالة، القاهرة، مصر، ج2، ص440.

وفي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن أفضل الصدقات إصلاح ذات البين لما فيه من منفعة فذلك يزيل الشقاق والاختلاف والعداوة، وتعم المحبة والألفة ويحدث الاتفاق، وهذا ما يوضح فضله[19].

4. قال عليه الصلاة والسلام لأبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه «ألا أدلّك على تجارة؟، قال: بلى، قال: صل بين الناس إذا تفاسدوا وقرّب بينهم إذا تباعدوا»[20] لقد وضح الرسول ﷺ أن من التجارة الرابحة بين الناس هي المساهمة في المصالحة بين الناس[21].

5. قال ﷺ: «كل سُلامة من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع عليه متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة»[22] يوضح هذا الحديث أن على الإنسان التصدق بعدد مفاصله ليشتري نفسه من ربه بعمل جملة من الأعمال الصالحة من بينها الإصلاح بين الناس[23].

6. عن أسماء بنت يزيد قالت: قال الرسول ﷺ: «لا يحل الكذب إلا في ثلاثة: كذب الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس»[24] بين الرسول ﷺ أن الكذب لا يحل إلا في ثلاث خصال فالكذب في الأصل حرام، لكن إذا كان من أجل الإصلاح بين الناس إذا اختلفوا فإن ذلك جائز[25].

19- علي بن غازي، الإيضاح، ص 35.
20- ا. الهيثمي، كشف الأستار، ج2، ص441.
21- علي بن غازي، الإيضاح، ص36.
22- البخاري، صحيح البخاري، ص 564
23- علي بن غازي، الإيضاح، ص37.
24- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، تحقيق، شعيب الأرناؤوط ورفاقه، مؤسسة الرسالة، القاهرة، مصر (45-574)، الترمذي، سنن الترمذي، ج4، ص331
25- علي بن غازي، الإيضاح، ص38.

المبحث الرابع: الشواهد التاريخية

المصالحة في العصر الجاهلي (الصلح بين عبس وذبيان أنموذجا)

ارتبط تاريخ العرب في الجاهلية بعصبيتهم القبلية، حيث كانت أواصر القربة بين أفراد القبيلة هي الأساس، وهذا راجع للطبيعة الجغرافية، فشحّ الموارد الطبيعية من مياه وأراض زراعية جعل سكان وسط الجزيرة العربية يمتهن معظمهم حرفة الرعي، والتي تعتمد على التنقل والترحال ومن ثم الاصطدام بالقبائل الأخرى، حتى أصبح القتل والتطاحن سمة بارزة لذلك العصر.

ورغم أن حياة العرب في العصر الجاهلي كانت حربية تقوم على سفك الدماء والأخذ بالثأر مما أطال عمر الحروب بين القبائل، وقد صور لنا شعراء ذلك العصر هذه الحالة فيقول أحدهم:

إذا ما طلبنا تبلنا عند معشر أبينا حلاب الدر أو نشرب الدما

ويقول آخر:

قليل غرار النوم أكبر همه دم الثأر أو يلقى كميا مسفعا

إلا أن بعضهم صور هذا الأمر بالمأساة كقول الشاعر:

الشيء يبدؤه في الأصل أصغره وليس بكل الحرب جانيها

والحرب يلحق فيها الكارهون كما تدنوا الصحاح إلى الجربة فتعديها[26]

إن معظم شعراء ذلك العصر رسموا لنا صورة عن تلك الحروب التي كانت مفخرة عند أفراد القبائل، وقد أثنى البعض على من كان له الدور في إيقاف نزيف الدم بين القبائل مما يعني أن ثقافة الصلح كانت موجودة، ولكن غلبت عليها قسوة الحياة وحمية الجاهلية، وقد أفرد احد أكبر شعراء ذلك العصر معلقته في مدح من كان له دور في الإصلاح بين قبيلتين، وعلقت القصيدة على أستار الكعبة لعظم

26- شوقي ضيف، موسوعة الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط24، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص63.

بلاغتها ورقي أسلوبها.

نظم زهير بن أبي سلمى معلقته على إثر الحرب التي قامت بين قبيلتي عبس وذبيان بسبب سباق للخيل عقد بين الفرس داحس ومالكها قيس بن زهير العبسي، والغبراء ومالكها حمل بن بدر الفزاري الذبياني، بعد أن تراهن الاثنان على مئة بعير لمن يفز بالسباق فقام حمل بن بدر بإرسال من يكمن لداحس إذا سبقت، فكان ذلك، ثم بعث حمل ابنه مالك ليأخذ الرهان من قيس فقتله، فاشتعلت الحرب بين القبيلتين لسنوات طويلة، فجاء هرم بن سنان والحارث بن عوف وهما سيدان من سادات ذبيان لإصلاح الأمر، وتكفلا بدية القتلى وقيل قد بلغت ثلاثة آلاف بعير، وقد عظم هذا الأمر عند العرب حتى امتدحهم الشاعر الحكيم زهير بن أبي سلمى ومن هذه الأبيات:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم[27]

ومما سبق يتضح أن القبائل العربية على الرغم بما وصفت به من غلظة وبداوة وحب لسفك الدماء إلا أن أمر المصالحة كان في ذهن أغلبهم، حيث عرفوا يقيناً أن العيش بين القبائل واقتسام الموارد والعدالة بين أفراد القبائل هو الحل الأمثل لتجنب الحروب لكن الآلية لتفعيل هذا الأمر لم تكن موجودة بسبب سيطرة العصبية القبلية على شخصية الإنسان البدوي الذي يريد أن يملك كل شيء لقبيلته دون غيرها من القبائل.

المصالحة في عهد الرسول ﷺ

حفل التاريخ الإسلامي بالعديد من المواقف الرائعة التي تؤكد على السلوكيات الفاضلة التي قام بتمثيلها أعلام الإسلام وعلى رأسهم الرسول ﷺ، ومن

27- الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص74-57.

هذه السلوكيات الإصلاح بين الناس ونبذ الفرقة والانشقاق، ومن هذه المواقف:

المصالحة بين الأوس والخزرج

الأوس والخزرج قبيلتان عربيتان من قبائل اليمن التي نزحت قديما من اليمن لتستوطن يثرب (المدينة)، وبالرغم من الأصل الواحد إلا أن التنافس والاقتتال كان غالبا ما يحدث بين القبيلتين، وكان اليهود طرفاً في إذكائه، وقد حدثت حروب كثيرة بينهما قبل هجرة الرسول ﷺ بقليل، من بينها حرب حاطب التي كانت بسبب قتل حاطب بن الحارث الأوسي وهو يهودي كان في جوار الخزرج، وقد انهزم الأوس في هذه الحرب، وقتل الكثير من أفراد القبيلتين[28]، ويوم بعاث الذي كان قبل الهجرة بسنوات قليلة، حيث صادف الرسول ﷺ وفداً من الأوس كان يريد عقد حلف مع قريش ضد الخزرج فدعاهم للإسلام فأسلم منهم إياس بن معاذ، لكن بقية القوم انصرفوا عن رسول الله من أجل تحقيق حاجتهم التي جاؤوا من أجلها، وبعد بيعتي العقبة الأولى والثانية، وهجرة الرسول الكريم إلى المدينة كان من أولويات هادي الأمة إصلاح ذات البين بين الأوس والخزرج ونبذ الفرقة والتطاحن الذي كان بينهما في الجاهلية[29]، حتى تستقيم أمور الدولة الجديدة، وتسير في ركب الحضارة والتقدم؛ لأن أي خلاف داخلي من شأنه أن يعيق أي تقدم، فالدولة الحديثة أعداؤها كثر، ويحيطون بها من كل جانب، وأطلق على الأوس والخزرج لقب الأنصار، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار[30]، حتى تتحول عصبية القوم من القبيلة إلى الدين.

وهذا الأمر يجب أن يقتدي به المسلمون جميعاً من أجل نبذ النعرات الطائفية والعرقية والقبلية والجهوية، والتوجه لعصبية الدولة التي أساسها الإسلام، وتتضافر الجهود من أجل بناء غد أفضل للأجيال القادمة.

28- ابن هشام، أبي محمد المعافري، السيرة النبوية، تحقيق، محمد بيومي، مكتبة الإمام، المنصورة، مصر، ج1، ص179.

29- ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص135.

30- المصدر نفسه، ج2، ص99.

ورغم وجود خير البرية عليه الصلاة والسلام بين القوم في ذلك الوقت فأن فئة من أهل يثرب ظهرت لتفسد الأمور، وتتخفى تحت ستار الإسلام، وهم المنافقون، ورغم علم الرسول عن طريق وحي السماء[31] بما كان يضمر هؤلاء من شر للإسلام وأهله، فأنه تعامل معهم بحكمة، ورويه دون أن يأمر بقتل، أو قطع العلاقة معهم أملاً في إصلاحهم، وهذا ما يجب أن نتعامل به مع من يوصفون في أيامنا هذه بالمؤيدين للنظام السابق الذين قد تكون نيتهم إفساد البلاد، و العباد، فنفيهم قد يؤدي إلى هذه الظاهرة؛ لذا يجب أن تكون هناك آلية للتخلص من رواسب المرحلة السابقة؛ كزرع الروح الوطنية التي أساسها الدين، والتعايش بين فئات المجتمع المختلفة دون إقصاء أو تهميش.

موقف الرسول عليه الصلاة والسلام من أهل مكة يوم الفتح

بعد أن نقضت قريش صلحها مع النبي (صلح الحديبية)، وقيام أفراد من قبيلة بكر حلفاء قريش بمهاجمة قبيلة خزاعة حلفاء المسلمين[32]، جهز الرسول ﷺ جيشا لفتح مكة، ولم تنفع محاولة أبو سفيان زعيم قريش في تجديد الصلح[33]، وسار المسلمون إلى مكة حتى دخلوها بعد أن أعطى الرسول ﷺ الأمان لمن يدخل بيته أو بيت أبي سفيان ثم قال: « لا اله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحج، ألا والقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط، ففيه الدية مغالطة، مائة من الإبل أربعون منها في بطون أولادها، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: 13] ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعلٌ بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال: فاذهبوا فأنتم

31- ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص108.
32- المصدر نفسه، ج4، ص21.
33- المصدر نفسه، ج4، ص22.

الطلقاء»[34]. هذا الموقف يؤكد وإن كان له خاصية النبوة لمحمد ﷺ مدى التسامح الذي كان عليه الإسلام المتمثل في شخص الرسول الكريم، رغم أنه أهدر دم نفر من المشركين على رأسهم عبدالله بن أبي السرح، وابتغى الرسول ﷺ من وراء ذلك ألا يتحول المشرك إلى منافق؛ لذا أعطاهم الفرصة لمراجعة أنفسهم والدخول في الإسلام قناعة لا إكراها.

موقف الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ من المرتدين

بعد أن صعدت روح الرسول إلى رب السماء؛ اجتمع الأنصار والمهاجرون في سقيفة بني ساعدة، واختاروا -بعد مشاورات- أبا بكر الصديق خليفة للمسلمين، فعظم أمر وفاة الرسول ﷺ عند العرب فارتد بعضها عن الإسلام، وأسقط بعضها أحد أركان الإسلام (الزكاة)، وقد ظهرت بوادر الردة في الأشهر الأخيرة من حياة الرسول ﷺ بظهور الكذاب مسيلمة الحنفي أحد سادة بني حنيفة، والأسود العنسي كاهن بصنعاء اليمن[35]، لكن الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ تعامل بحزم مع هؤلاء وقال قولته المشهورة: «والله لو منعوني عقالا كانوا يؤذونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها»، رغم أن الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب ﷺ ذكّروا أبو بكر بحديث الرسول ﷺ الذي قال فيه: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا الله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمن قالها عصم مني ماله ودمه»، فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة[36].

وقد ذكر بعض الباحثين أن الردة كانت للأسباب الآتية:

1. العصبية القبلية التي كانت طاغية على معظم عقول أفراد القبائل.
2. رغبة بعض زعماء القبائل في الحكم والسلطان بعيدا عن أي دين يقيد

34- ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص34؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص60. اعترض عليه بعض العلماء أن الرواية بها عمر بن موسى بن وجيه وهو من يضيع الحديث متنا وإسنادا، وأنكره البخاري.

35- البخاري، صحيح البخاري، ص904-905.

36- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص87.

طموحاتهم.

3. تأثر بعض أفراد القبائل بأعمال السحر والكهانة والشعوذة التي كان يقوم بها البعض كسجاح التميمية والأسود العنسي وطليحة الأسدي.
4. جهل حديثي العهد بالإسلام وتعاليمه مما جعلهم ينجرون وراء طموحات زعمائهم و كهانهم[37].

ويقودنا هذا إلى مدى التشابه الذي حدث في بلادنا، حيث كان لنعرة القبلية دور كبير؛ فيمن أيد النظام السابق، فقد عمل بعضاً من أصحاب الجاه في بعض القبائل على تضليل أبناء قبيلتهم واستغلوا حاجتهم وضعف دين بعضهم، وتدني مستوى ثقافتهم لتسخيرهم إما أبواقا للنظام أو محاربين معه ظنا منهم أنهم على الدرب الصحيح.

وقد استطاع الخليفة أبوبكر الصديق ﷺ أن يقضي على أهل الردة والباطل بعد أن ثبت أهل الحجاز على دينهم، فقتل مسيلمة و الأسود العنسي، وفر طليحة الأسدي وسجاح التميمية حتى عادا عن ردتهما، وقتل مالك بن نويرة بعد أن منع الزكاة هو وقومه من بني يربوع[38].

وكان تعامل الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ مع المرتدين بأن يستتاب المرتد فإن قبل ورجع عن ردته عفي عنه، وإن رفض يقام عليه الحد، ومنع الذين عادوا عن ردتهم من مشاركة في الفتوحات الإسلامية حتى يستيقن من قوة إيمانهم، وبقوا على هذا الأمر حتى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عندما احتاج لأعداد كبيرة للمشاركة في الفتوحات الإسلامية[39]، وهذا يؤكد على أن الذين عادوا إلى جادة الصواب أن يستبعدوا في الفترة الأولى من المناصب والقيادات حتى يعيدوا حساباتهم ويصححوا مسارهم.

37- عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ص195؛ أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة، المدينة المنورة، السعودية، ص360

38- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص88-89.

39- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص448.

المصالحة بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

ولي الحسن بن علي ﷺ الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة خلافته ستة أشهر وبضعة أيام، فسار إليه معاوية بن أبي سفيان في جيش من أهل الشام، وقد كانت الحرب دائرة بين والده ومعاوية، وعندما وجد تخاذلاً من بعض أتباعه، فخاف أن يحدث ما حدث من الخوارج مع أبيه، وأيقن في الوقت ذاته أن الحرب لن تزيد إلا من سفك دماء المسلمين، فأرسل الحسن لمعاوية يطلب الصلح والكف عن إراقة دماء المسلمين شريطة أن لا يطالب معاوية أحدا من أهل الحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه، وعلى أن يدفع عنه ديونه، فاستجاب معاوية لطلبة فاصطلحا، وانتهت بذلك حربا أريقت فيها الكثير من دماء المسلمين[40]، وتحققت معجزة الرسول ﷺ في قوله عن الحسن: « يصلح الله به بين فئتين من المسلمين »[41]، فتنازله عن الخلافة كان أمر عظيماً في إنهاء الفتن بين المسلمين، رغم أن البعض كان يعيّره بذلك، فكان يرد عليهم بأن « العار خير من النار، وأن الأمر ليس مذلة بل إني كرهت أن أقتلكم عن الملك »[42].

وهذا يدل دلالة واضحة على أن المصلحة العامة التي تتفق مع الدين والوطن هي أسمى وأعلى من المناصب، وأن الإنسان قد يتنازل عن منصبه حتى لو كان أحق به في سبيل أن يطفئ نار الفتن وإراقة دماء المسلمين، وألا يجعل الإنسان فعله الخير حبلا في عنق الآخرين، فما فعله يجب أن يكون لله والوطن والدين، وليس للوصول إلى مآرب شخصية.

الخاتمة

من خلال استعراضنا لبعض الشواهد التاريخية التي أوضحت أهمية المصالحة لتسيير أمور العباد والبلاد، فيمكن أن نستخلص النتائج الآتية:

40- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص93؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج8، ص18؛ ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج3، ص261؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص227.

41- البخاري، صحيح البخاري، ص1422.

42- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص227

1. المصالحة ضرورية لاستقرار المجتمعات، وحقن الدماء، لذا كان لزاماً على الجميع التعايش لتحقيق الأمن والأمان.
2. الظلم سبب لتفكك المجتمعات، وتعطل مصالحها.
3. عالج الرسول ﷺ هذه الأمور بكل حكمة فآثر أن يقوم بأي عمل خارجي قبل ترتيب البيت الداخلي، ونبذ كل ما من شأنه أن يفرق بين المسلمين.
4. أكدت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في البحث مدى حرص الدين الإسلامي على معالجة المشاكل الاجتماعية دائمة الوقوع.
5. أكد الدين الإسلامي على عدم استباحة أموال المسلمين ودمائهم دون وجه حق.
6. ضرورة معالجة الأسباب التي أدت إلى انفصال أو انشقاق فرقة أو جزء من المجتمع وذلك بالتوعية والصفح عمن آذى الناس بلسانه ولم يشارك في قتل المسلمين حتى نفسح المجال لبناء مجتمع تحكمه القوانين لا النعرات الطائفية والعصبيات القبلية والجهوية.
7. قيام علماء البلد من خطباء وأئمة بتوجيه الشباب إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد حتى تختفي الحساسيات والعصبيات.
8. القيام بمحاضرات تثقيفية تستهدف كافة شرائح المجتمع من طلاب المدارس حتى تحتفي الظواهر السلبية وسط هده الفئة المهمة.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القران الكريم (رواية قالون عن نافع).

1. ابن الأثير، أبي الحسن على بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ، دار صادر. بيروت، لبنان.
2. ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
3. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القران العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد على بيضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م.
4. ابن قدامة، أبو محمد عبدالله بن أحمد، المغني، مكتبة الجمهورية، مصر، القاهرة.
5. ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين بن إسماعيل، البداية والنهاية، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
6. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992م.
7. ابن هشام، أبي محمد المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: محمد بيومي، مكتبة الإمام، المنصورة، مصر. 1995م.
8. أحمد بن حنبل، مسند الإمام احمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط ورفاقه، مؤسسة الرسالة، القاهرة، مصر.
9. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحصح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الإمام، المنصورة، مصر، 2003م.
10. البيهقي، أبوبكر احمد بن الحسين، الجامع لشعب الإيمان، الدار السلفية بالهند.
11. الترمذي، ابي عيسى محمد بن سورة، الجامع الصحيح تحقيق: احمد شاكر، مكتبة مصطفى الاابابي الحلبي، القاهرة مصر، ط2 1978م.

12. الجوهري، أبي النصر إسماعيل بن حماد، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: ايميل بديع يعقوب ومحمد نبيل طريفي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العالمية، بيروت لبنان، 1999م.
13. الزوزني، أبو عبد الله الحسين بن احمد بن الحسين، شرح المعلقات السبع، دار ومكتبة الحياء، بيروت، لبنان.
14. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر، تاريخ الخلفاء، دار الجيل بيروت، لبنان.
15. الطبري، أبوجعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبوفاضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، لبنان.
16. القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري، الجامع لأحكام القران، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999م.
17. الماوردي، أبي الحسن علي بن محمد ابن حبيب البصري الماوردي، الأحكام السلطانية، تحقيق، أحمد نجاد، دار الحديث، القاهرة، مصر، 2006م.
18. نور الدين الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البزاز، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي، مؤسسة الرسالة، القاهرة، مصر.

ثانيا: المراجع

19. أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدة، ط1، المدينة المنورة، السعودية، 1994م.
20. شوقي ضيف، موسوعة الأدب العربي، العصر الجاهلي، ط24، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003م.
21. صور الرحمن هدايات، التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحد، دار السلام، القاهرة، مصر2001م.
22. عبد الحميد حمودة، تاريخ الدولة العربية الإسلامية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط2، 2007،
23. علي بن غازي التويجري، الإيضاح لما ورد في الكتاب والسنة بشأن الإصلاح، مكتبة دار النصيحة، المدينة المنورة، السعودية، 2010م.